

فكان من أدباء الإنجليز من ضربوا بسهم في الفن والعلم والدين والحرب والكشف الجغرافي وكبار وظائف الدولة ، ولهم مع ذلك مؤلفاتهم الشعرية والنثرية العبرة عن خوالجهم النفسية ونظراتهم في شؤون الحياة مستقلة تمام الاستقلال عن وظائفهم في الحياة العملية أو متأثرة بها ، ومن أولئك سينسر ويكون وراي وبنيان وسدني سميث ودرزائيل

ومهم من شاركوا في التقلبات السياسية فكانوا دائماً في صف الحرية وفي جانب الشعب ، ولم يستظل منهم إلا القليل بلواء الملكية ابتغاء السلامة والغنيمة . ومن ضربوا بسهم في هذا الباب توماس مور مؤلف « اليوتوبيا » الذي قطعت الزبائث يده للدفاع عن حرية الشعب الدينية ؛ ويقال إنه بعد قطع يده رفعها هاتفاً بحياة الملكة لأنه كان يحب ملكته الباسلة ، ولكنه كان أكثر حباً للحرية والشعب . ومنهم ملتون الذي أيد الجمهورية في ظل كرومويل وعمى بصره في الدفاع عنها أمام أنصار الملكية ومنهم من اضطلموا بسبب الإصلاح الاجتماعي الأخلاقي عقب الفساد الذي تركته الملكية المائدة من فرنسا بعد موت كرومويل ، وإديسون ، وستيل بطلا هذا الإصلاح الناجح الفريد في بابه . ومنهم من كرس أعماله لأصلاح حال العمال عقب التطور الصناعي وزعيمهم دكنز ، أو لأصلاح القانون الجنائي ومعاملة المسجونين تمشياً مع عصر النور والحرية ، ومن أولئك جازوردي . ومن الأدباء الفكتوريين من صرف همه إلى ترقية الجمهور والذوق العام بالمحاضرة عن الفن والأدب ، وكبير هؤلاء رسكن . وزادت هذه النزعة الاجتماعية الإصلاحية بتشمب نواحي الحياة حتى طمت في عصرنا الحاضر

بل كان من أولئك الفكتوريين جماعة خاضوا ميدان الصناعة والتجارة ، فأنشأوا شركة لصنع الأثاث ، وكانوا يرسمون تطريز الأثاث بأنفسهم ، إذ ساءت الطرازات الشائعة في عهدهم ؛ وأنشأ أحدهم وهو الشاعر المصور ولیم موريس مطبعة ومملاً للحبر لكي يطبع كتبه على النمط الذي يختاره وبالخبر الذي يفضله بل كان من أدباء الإنجليز من عاف الاجتماع الانساني قاطبة وتقم على أنظمة الملكية والكنيسة ، وحاول إنشاء مجتمع جديد تسود فيه البساطة والمساواة والأخاء ، ومن هؤلاء شعراء عهد الثورة الفرنسية ؛ فالكتاب الفرنسيون الذين مهدوا لتلك الثورة

الزعة العملية

في الأدبين العربي والإنجليزي

للأستاذ نوري أبو السعود

من الطريف والمفيد مما ألتزال نوازن بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي في شتى النواحي ، فإن هذين الأدبين لاختلاف ظروفهما يختلفان كثيراً ولما يتفقان ؛ والموازنة بين وجود اختلافهما المديدة - ووجوه اتفاقهما إن كانت - تلقى ضوءاً على مختلف الظواهر في كليهما ، وتبرز شتى الأسباب والمسببات في تاريخهما ، وقد قيل : وبضدها تتميز الأشياء

وأعنى بالزعة العملية في الأدبين اتصالها بالحياة اليومية والاجتماعية والسياسية والوطنية ومساهمة أقطابها في تلك الشؤون ، والأدبان هنا أيضاً على طرفي تقيض : فالزعة العملية تسود الأدب الإنجليزي من أقدم أيامه ، وهي ترداد باطراد عصرًا بعد عصر ، بينما هي تكاد تنعدم في الأدب العربي ؛ وما كان منها في صدر تاريخه قد تضائل بكرّ المصور

فالإنجليز بطبيعتهم العملية لم يترددوا في زج الأدب في غمار الحياة العملية والاستماتة به في شؤونها ، وأدباؤهم لم يجمعوا عن الأخذ بمحظهم من أشغال الدنيا ومخاطراتها ، أما العرب فعلى عظيم منزلة الأدب لديهم وشدة احتفائهم به ، كان أدبهم دائماً بواد والحياة العملية بواد ؛ وكان فناً نظرياً محضاً من توفر عليه انقطع عن غيره وعاش في عالم من الحفظ والرواية والتاريخ والتصنيف

و « على عبد اللطيف » في محادثتهم سنة ٢٤ ، روح الشاعرية ممزوجة بالوفاء والشهامة . ومن واجب صحفنا وجماعاتنا الأدبية أن تبحث بما أوتيت من وسائل الصحافة عن تلك السكتوز ليقم الأدب وجماعته وصحفه بهذا الواجب ، وليس الميب أن يكشف الزمان عن نقص ولا أن نفتخر بالنقص ، ولكن الميب أن نقتد عن تلافيه

ولنقل من اليوم : الوجه البحري ، والوجه القبلي ، والوجه السوداني . وليس عند الله جهد ضائع ، ولكن في الدنيا كسل مضيع

محمد محمود جهول

المسلم به أن الحكم للأمير لا يدخل للرعية فيه . ويدعى أن الأدب الذي ينمو في مثل هذه الظروف يظل مكفوقاً عن شؤون السياسة كما كانت بقية الرعية مكفوفة ، فهذا سبب انزوال الأدب العربي عن السياسة

فالأدباء ممثلو أممهم : ففي إنجلترا حيث كان الدستور والحياة النيابية هما العقيدة التي يدين بها الشعب شارك الأدباء كما شارك غيرهم من أفراد الشعب في الحياة السياسية وتوطيد أركان الحرية ، وفي الأقطار العربية حيث كانت الملكية المطلقة هي القاعدة أحجم الأدباء عن غمار السياسة كما كان بقية الشعب عاجلاً

ولقد خفف من وطأة الحكومة المطلقة على الأدب أن أكثر الخلفاء والأمراء كانوا أدباء أو عشاقاً للأدب ، وكانوا جميعاً يقربون رجال الأدب ويفدون عليهم ؛ على أن هذه الحالة كانت لها مساوئها بجانب منابها : إذ زخر أدبنا دون غيره من الآداب المالية بأشعار المدح والهتة والاستجداء ، وشتان بين أدب ينمو في ظلال الحرية والاستقلال ، وآخر بين قيود الرعاية والحماية والنحّة

كان الدستور محور السياسة في إنجلترا ، وكان الدين محورها في الأقطار العربية ، فمليه انقسمت الأمة أحزاباً في أول الأمر ، ومنه انبثقت الفتن والثورات وقامت الأسر الحاكمة ونقسمت الإمبراطورية العربية دولاً ودويلات ، وبخافز منه جامد المسلمون الروم ثم الفرنجة . كان الدين في كل هذه الأطوار يبعث النشاط السياسي وزناد الروح الوطنية والقومية ، ولا ترى الشعر العربي يحفل بالحماسة وروح القومية إلا في عصور الجهاد تلك

فالحياة الديمقراطية في إنجلترا كانت العامل الأول في اتسام الأدب الإنجليزي بالزرعة العملية ومساهمته في الحركات السياسية والاجتماعية ، واختراع الطباعة كان عاملاً آخر ساعد اتصال الأدباء بالحياة الاجتماعية واعتمادهم على جمهور القراء بدل الاعتماد على منح الأمراء ، وتبع من توثق هذا الاتصال نشوء الصحف الدورية فكانت عاملاً جديداً في هذا الميدان أعقبه تميم التعليم فعاملاً امتلاء الأدب الإنجليزي بالزرعة العملية هما الحياة الديمقراطية أولاً وانتشار الطبوعات ثانياً ، وقد كان كلا العاملين يعوزان الأدب العربي ، ومن ثم يزخر الأدب الإنجليزي بالشؤون الاجتماعية والسياسية والوطنية بينما يقتصر الأدب العربي على وصف المشاعر الانسانية العامة وتصوير حالات النفس وأطوار الفرد ما

فخرى أبو العمر

أمثال روسو وفولتير اكتفوا بالعمل النظري وتركوا التنفيذ لغيرهم ، أما معاصروهم ومن جاء بعدهم من الأدباء الإنجليز فحاول كثيرون منهم تنفيذ العمل بأنفسهم . وقد انتقل شيلي إلى إيرلندة ثم إلى أوروبا لأنشاء مدينته الفاضلة ، وإن يكن قد منى بالفشل في الحالتين ؛ وعاضد وردزورث الثورة الفرنسية بقوة لماداتها بمبادئها المعروفة حتى تقم على دولته إعلانها الحرب على فرنسا النائرة ، وكاد ينتظم في أحد أحزاب الثورة ، وبركب تيارها الخطر أولئك بعض رجال العمل من أعلام الأدب الإنجليزي المساهمين في الحياة الاجتماعية بفكرهم ومجهودهم ، وما نحالنا واجدين مماثلهم بين أعلام أدبنا : فقد كان من يتوفر على الأدب من أبناء العربية ينصرف كما تقدم عماعداً الأدب ، ويقصر أدبه على التعبير عن خواجه الفردية وذكر مآربه وحبه وشرايه وغضبه ورضاه ونعيمه وشقائه ، ويكاد لتوفره على الأدب لا يجد قوت يومه إن لم يكن له مورد سهل ، ويضطر إلى التقرب إلى مولى يمدحه ويفوز بأعطيته ؛ وقد كان هذا من دواعي استتالة هذه الظاهرة في الأدب العربي : ظاهرة المدح التي سرعان ما تلاشت من الأدب الإنجليزي

والقليلون من أعلام الأدب العربي الذين شاركوا في الحياة العملية إنما صنعوا ذلك جرياً وراء مطامعهم الشخصية لا دفاعاً عن مصالح أقرانهم ؛ ولذا كان أقصى مهمهم أن يستوزروا للحكام ، ولم يدر بخلدكم مناقشة سياسة أولئك الحكام ، وإنما ظلوا أبقاقاً لهم وكتابة مجيدين ؛ ومن ثم كان ما يتصل بالسياسة من ذخائر الأدب العربي هو الرسائل الديوانية التي دججها أولئك المنشئون على لسان أمراءهم

والمجيّدون من أعلام الأدب العربي الذين ساهموا في حياة العمل بمناهضة السلطة القائمة كقطري بن الفجاءة مثلاً قلائل ، وكان جالهم في صدر الاسلام ، ومن لم يفعل ذلك منهم طلباً لغاية شخصية فعلة لعقيدته الدينية حين كانت العقائد الدينية مضطربة في الصدور لقد كان الشعر والخطابة في الجاهلية أداتين من أدوات الحياة العملية والسياسية في ذلك المجتمع البدوي ، فلما جاء الاسلام كان في أصوله شورياً يخول الرعية مشاوراً راعياً ، ولكن دولته قامت على بقايا الملكيات المتبقية القديمة ، فقامت الخلافة العربية على غرار تلك الملكيات التي تجمع الأمر كله بيدها ، ولم يمد الخليفة يشاور إذا هو شاور رعيّاً لحق الرعية عليه بل التماساً للرأي إن أعوزه ، ولا هو كان ملزماً باتباع مشورة غيره ؛ وصار من